بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا
يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ
وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

obeikandl.com

الإهداء

إلى كل من تتلمذت على يديه في مراحل الدراسة كلها أقول :

قـــم للمعلّـــم وفّـــه التبجيـــــلا كادَ المعلمُ أن يكـون رسـولا

obeikandl.com

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: يعد العصر الجاهلي عصراً بالغ الأهمية والخطورة بالنسبة لدراسة الأدب العربي ونقده نظراً لما تميز به من تعدد القضايا الأدبية وتباين آراء النقاد فيها وثراء نتاجها، وقد وصلت إلينا مجاميع كثيرة من دواوين الشعراء في هذا العصر على اختلاف روايتها وحظيت بأكبر قدر من الاهتمام والرعاية وأوفر نصيب من الدراسة والتحقيق حيثُ أتاح الله لها من دققها وحققها واعتنى بها من علمائنا ومحققينا وأساتذة جامعاتنا وغيرهم ممن لهم باع طويلٌ في دراسة الأداب العربي ونقده في مختلف الأمصار العربية والإسلامية.

ولا شك في أن العرب أمة شاعرة، وقد نصت على صدق هذه المقولة دواوين شعرائها التي وصلت إلينا عقب هذه العصور والحقب الزمنية الممتدة إلى أكثر من (150 ـ 200) سنة قبل الإسلام تحكي قصة هذه الأمة وغرامها بهذا الفن الخالد وتعلق أفئدة أبنائها به لأنه المعبر عن طموحات هذه الأمة ومكارم أخلاقها وطيب أعراقها، وذكر أيامها الصالحة وأوطانها النازحة، وفرسانها الأنجاد وسمحائها الأجواد.

وعلى هذا الأساس جاهد العرب من أجل امتلاك زمام الأدب بعامة والشعر بخاصة.. فتدافعوا إلى قرض الشعر وإنشاده وحفظه ونقده وتقويمه.

كل هذا أذكى جذوة رغبتي في العلم لدراسة نقد النص الأدبي وقضاياه منذ ولادته ونشأته في عصر ماقبل الإسلام، ومن ثم تطوره في تلك الحقبة المحددة للعصر بمائتي عام قبل الإسلام، وهي المدة التي حددها الجاحظ، واعتمدها العلماء من بعده ولم تخالفه الدراسات الحديثة في معظمها حتى يومنا هذا، ومن هنا كان النص الأدبي منطلقنا وسيبقى النقد محور القراءات.

وقد آثرنا أن يكون بحثنا مقتصراً على دراسة معايير نقد النص الأدبي وقضاياه مع إدراكنا بالقيد الذي يحيط مسار البحث وهو استقرار التراث النقدي وتجريبه،

obeikandl.com

واستخلاص قيم وصفية لنقد النص وتلك أمور تحكمها الآراء والأحكام التي أبداها النقاد من مواجهتهم النصوص وتفاعلهم معها بالتوجيه والتحليل.

وقد قام البحث على رصد تلك الآراء مراعياً التطور الزمني آخذاً بالحسبان التسلسل التاريخي في دراسة تلك النصوص وعرضها ومناقشتها واستخلاص النتائج برؤية فنية تعمد إلى تصنيف الآراء تصنيفاً فنياً يضم كل مجموعة من هذه الآراء في قضيةٍ فنيةٍ معينة، ويدرسها بالموازنة بعضها ببعض وتحليلها.

ومن المعروف أن الناقد لا يتحرك من دون الاتكاء على تراثٍ نقديٍّ أصيل، ومن هذا المنطلق كان عملي مع علمي أن هذا العمل يأتي مكملاً لدراساتٍ طرقت هذا الموضوع من زوايا كثيرة، فمما لاشك فيه أن كتاب)تاريخ النقد الأدبي عند العرب حتى نهاية القرن الرابع الهجري)للمرحوم طه أحمد إبراهيم يتصدر الدراسات النقدية..، فضلاً عن دراسات نقدية أخرى طرقت الأدب الجاهلي ونقده منها: (في الأدب الجاهلي) للدكتور طه حسين و (من قضايا الأدب الجاهلي) للدكتور محمد أبو الأنوار، و(مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية) للدكتور ناصر الدين الأسد، و(في تاريخ النقد والمذاهب الأدبية) للدكتور طه الحاجري، و(النقد الأدبي حتى نهاية القرن الثالث الهجري) للدكتور محمد طاهر درويش، و(تاريخ النقد الأدبي عند العرب حتى نهاية القرن الرابع الهجري) للدكتور محمد زغلول سلام، و(تاريخ النقد الأدبي عند العرب) للدكتور إحسان عباس، و(تاريخ النقد الأدبي عند العرب) للدكتور عبد العزيز عتيق.، و(تاريخ النقد الأدبي حتى غاية القرن الثالث الهجري) للدكتور بدوي طبانة،و(قضايا الشعر في النقد العربي) للدكتور إبراهيم عبد الرحمن محمد،و(أدب العرب في عصر الجاهلية) للدكتور حسين الحاج حسن، فضلاً عن دراسات أخرى حاولت الإحاطة بما وقع من نقد عند العرب بهذا الموضوع أشرنا إلى معظمها في صفحات هذا البحث.

ولا أخفي ما كان يتبادر إلى الذهن من سؤالٍ مؤداهُ هل بقيَ ما يمكن أن يكتبَ في النقد العربي القديم، وعلى وجه الخصوص في عصر ماقبل الإسلام؟ وربما كان هذا اعتقادي إلى وقت قريب غير أنني منذ أن سجلت هذا الموضوع، وبدأت العمل به واطلعت على معظم الدراسات، رأيت أن موضوع النقد العربي القديم

موضوعٌ واسعٌ، وما اطلعت عليه من دراسات حاولت الخوض فيه ما هي إلاّ تكراراً أو تفصيلاً بعضها لبعض وما تبقى هو الكثير الذي لم تتناوله الدراسات، فضلاً عن المناهج التي درست هذه النصوص تظل في أطر المنهج التاريخي أو التصنيفي، ويبقى أمر زوايا التناول وتحليلها والخروج منه بنتائج. فقد تتكرر النصوص إلاّ أن هناك نصوصاً مختفية، وقد تتعدد الدراسات ولكن الأساليب متباينة، إذ إننا حتى هذه اللحظات لم نجد رأيا نقدياً جامعاً يؤكد أن للعرب نظرية نقدية، بل على العكس من ذلك فقد ذهب بعضهم إلى السخرية من النقد العربي القديم والتهكم عليه والتقليل من شأنه، بل إن هناك من ذهب إلى نكران الشعر الجاهلي برمته.

وعلى هذا ارتأيت أن يرتقي هذا البحث إلى مرامه الذي أعتقد بأنه ـ في نظري مهمة ليست هينة، فعلينا أن نقرأ النصوص النقدية من مظانها، وأن نستخرج من النصوص الشعرية آراء نقدية تضاف إلى الأحكام الأخرى ما تجعلنا نطمئن أن لهذه النصوص الجاهلية أصولاً وجذوراً بنيت عليها الدراسة، وحددت القضايا الرئيسة التي كانت المحور المهم لها، غير أن هذا، لا يعني أن الدراسات الجمّة والمتنوعة لهذا الأدب لم تفِ بالغرض، بل إنها دراسات جادّة ناقشت الموضوعات وقوّمتها وحللت ما استطاعت، ولكنها لم تصل إلى مرحلة بلورة نظرية نقدية عربية. ربما استشفت بعض الدراسات هذا منها دراسة الدكتور عناد غزوان (النظرية النقدية) إلا أنه لم يترجمها، والدكتورة هند حسين طه (النظرية النقدية عند العرب) والدكتور عبد العزيز حمودة في كتابه الذي صدر قبل أعوام وهو (المرايا المقعرة) وهذا هو من الأمور المسلّم بها.

وقد وقفت هذه الدراسات على النصوص النقدية القديمة، وحكمت على أكثرها بالسذاجة المفرطة، والبعد عن التعليل، وغياب المصطلح وتخبط المنهج النقدي وغير ذلك. وبتأملنا تلك النصوص نجد أن بنا حاجة إلى قراءة النصوص النقدية القديمة قراءة متأنية، لأن الدراسات النقدية لم تعرف الكلمة الأخيرة، ولا القول الفصل، بل هي محاولات غايتها ومبتغاها الكمال، لارتباطها بدرجة رئيسة بالذوق والإرشاد والتوجيه.

ولا ريب في أن المدة التاريخية للبحث مهمة وحافلة بالنصوص النقدية الموجزة في طبيعتها، الهادفة في مرامها التي رافقت النصوص في عصر ماقبل الإسلام. فكان على الباحث أن يتابع هذه الآراء والأحكام كلها أو بتقصيها بقدر الإمكان ومن ثم يتعقب ما دار من حديث عن هذه الآراء والقضايا في العصور الأخرى لأن بحثنا لا يقف عند حدود الجاهلية، وإنما يتجاوزها حتى يشمل العصور الأخرى ويمتد إلى أن يصل إلى يوم الناس هذا.

وإذا كان التعامل مع النصوص الأدبية يتطلب من الناقد جهداً كبيراً وثقافة واسعة تعينه على التحليل، فإن نقد النقد مطلبٌ ضروريٌّ لتصحيح النقد، ويقوي مكانته ويقوم بدوره لتنفيذ التحولات المرجوة، فهو نشاط معرفي ينصرف إلى مراجعة الأصول النقدية كاشفاً سلامة مبادئها النظرية وأدواتها التحليلية، وهذا يتطلب جهداً أكبر، ودقة أعلى، واطلاعاً أوسع ورؤية أعمق للخروج بنتائج أخرى غير النتائج التي خرج بها من سبقنا؛ لأن مجرد عرض نصوص النقد العربي القديم وتصنيفها، ودراستها تاريخيّاً - وهو ما رأيناه موجوداً فعلاً في الدراسات التي ذكرناها - لا يكفي للخروج بنظرية نقدية عربية تفي بدراسة النص الأدبي القديم وتحيط بنقد النص لأننا نتعامل مع نصوص نقدية، لا مجال في تحليلها للخيال والعاطفة، فهي أفكار وقضايا ترتبط بأكثر من اتجاه وفيها أكثر من رأي، وقد توّخى الباحث أن يكون موضوعياً في مناقشته دقيقاً في لغته وأن يطلع على ما استطاع الاطلاع عليه من مصادر ومراجع – وهي كثيرة من دون شك- تتحدث عن القضايا النقدية في هذه المرحلة المبكرة من تاريخ النقد، وقد أفدنا منها كثيراً غير أن هناك قضايا ظلت موضوعاتها الشغل الشاغل للنقاد القدماء والمحدثين، فضلاً عن أن الباحثَ تناول نقد النص الأدبي وقضاياه في عصر ماقبل الإسلام، بوصفها مرحلة مهمة وخصبة تتسم بكثرة النصوص النقدية المتباينة والتي تتناسب مع حجم الثروة الشعرية التي ورثناها، فضلاً عن تعدد قضاياها وتنوعها مما اقتضى من الباحث بذل مزيدٍ من الجهد والمثابرة لتذليل تلك الصعوبات.

ولا ريب في أن هذه الدراسة تبحث عن الطريقة المثلى لإبراز العلاقة الحميمة بين الناقد والمبدع في هذه المدة، وهي مرحلة ليست هيّنة، تشكل ظاهرة الغزارة ووفرة

العطاء الشعري ونتاجه منحى واضحاً واتجاهاً ملحوظاً لا يمكن تجاوزه وإهماله أو السكوت عنه.

وتأسيساً على هذا ارتأينا أن نتابع في هذه المرحلة نقد النص الأدبي بكل أشكاله وأبعاده الفنية، فضلاً عن قضاياه، منطلقين من ذلك المنهج الذي يعمد إلى رصد الآراء النقدية وتقصيها، ومناقشتها وتحليل بعضٍ منها. مع إدراكنا أن مفهوم (نقد النص) ليس معاصراً وجديداً. فالعلاقة الجدلية بين النص الأدبي والنقد قديمة، إذ إنها تدلّ على توجيه النقد للعناية بالنص الأدبي بجنسيه (الشعري والنثري) بمعزل عن الظروف التي أنتجته،ونقد النص هو المصطلح الذي ارتأته هذه الدراسة، وقد صنع بفعل التعامل مع النصوص التي تواجه ناقدنا القديم. غير أن نقد النص النثري في مرحلة البحث كان ضئيلاً ونادراً. وعلى هذا الأساس ركزنا على نقد الشعر لأهميته، وعمَّا دار حوله من آراء نقدية، لذلك كان عملنا عرض النصوص النقدية للشعر العربي في العصر الجاهلي عرضاً تاريخياً لأهداف كثيرة منها رصد التطور النقدي للنص بتطور الحياة وتحليل أهداف النقاد في نقد النص وتبيّن وظائف النقد في ذلك العصر ومفاهيمه، ووضع النص في سياقه التاريخي الموضوعي الذي كان له أصلٌ في إنشائه، وما تبعه في أحايين كثيرة من تحليل لمضمونٍ أوحكمٍ وفقاً لمستواه الفني، فضلاً عن النقد والتحليل الذي انتهى إليه.

وبناءً على ما سبق ذكره وتحقيقاً للموضوعية العلمية والمنهجية وشمولية البحث اقتضت الضرورة أن تنتظم هذه الدراسة في مقدمة وتمهيد وستة فصولٍ وخاتمة.

فأما المقدمة فقد تناولتْ أسباب اختيار الموضوع وتحديد مجاله الزمني، والمنهج الذي اتبع في دراسة نقد النص الأدبي.وخصص التمهيد لتحديد مفهوم النقد ومفهوم النص الأدبي.

في حين تناول الفصل الأول نقد النص الأدبي وقضاياه في المجالس الأدبية، وقسمنا الفصل إلى ثلاثة مباحث تكلمنا في المبحث الأول عن النقد في المجالس الأدبية العامة، منها: "النقد في مجلس أم جندب" و"النقد في مجلس قيس بن ثعلبة"و"النقد في مجلس ربيعة بن حذار الأسدي" و" النقد في مجلس هرم بن قطبة

الفزاري" وناقشنا بعض قضايا النقد المهمة في تلك المجالس العامة منها ما يخص العروض والقافية ومنها ما يتعلق بالألفاظ والمعاني، وأخرى تعنى بالمعارضات والمنافرات والنقائض ومصطلحاتها الجاهلية، في حين تطرق المبحث الثاني إلى طبيعة النقد في المجالس الأدبية الخاصة منها: "مجلس قريش"و"مجالس يثرب"، فضلاً عن النقد الأدبي في قصور المناذرة والغساسنة وملوك اليمن، وقد كانت تلك المجالس عامرة بفحول الشعراء. وقد ركز المبحث الثالث على النقد الأدبي في (سوق عكاظ).

وتكفل الفصل الثاني بعرض المفاضلات والألقاب والمصطلحات النقدية في ثلاثة مباحث، خصص المبحث الأول للمفاضلات بين الشعراء وعني المبحث الثاني بدراسة ألقاب الشعراء وبعضاً من المصطلحات الجاهلية منها الغلو والإفراط والمبالغة والصدق والكذب والتو عر و الهلهلة..إلى ما هنا لك.

في حين ركز المبحث الثالث على فحولة الشعراء وطبقاتهم.

أما الفصل الثالث فقد كان مخصصاً للمعلقات والحوليّات والمنقحات والصنعة الفنية. تكفل المبحث الأول بعرض النتائج التي توصل إليها النقاد من خلال دراستهم للمعلقات على وفق مناهج مختلفة ومن ثم تقويم هذه النتائج عن طريق موازنتها بنتائج أخرى، وترجيح الأكثر تأييداً وإجماعاً من لدن النقاد ـ متوخين الحيطة والحذر من المشككين ـ بعد أن حاولنا المقارنة مع آدابٍ عالمية أخرى محددين وجهة نظرنا. في ذلك.

في حين ركز المبحث الآخر على (الحوليات والمحكمات والصنعة الفنية)، وقد عرضتُ لآراء النقاد بعد أن أكدنا تأصيل هذا المصطلح النقدي "الحوليات" على أنه جاهليٌّ، وقد تعددت التسميات لقصائد الحوليات وتنوعت الأوصاف فكانوا يسمونها: المقلدات، والمنقحات والمحكمات وهذه المصطلحات هي التي جعلت شعراءها يلقبون بـ" مدرسة الصنعة الفنية".

واستوعب الفصل الرابع مبحثين لدراسة النص الأدبي وقضاياه النقدية، كان الأول منصباً على رواية الشعر، في حين ركز الآخر على تدوين الشعر وتوثيقه، أما

الفصل الخامس فكان منصباً على دراسة السرقات الشعرية وتداخل النصوص، بينما خصص الفصل السادس لنحل الشعر وصحته.

وقد تتبعنا هذه القضايا في مصادر الأدب العربي ونقده، ورأينا مدى أثرها الفاعل في نشوء النظرية النقدية عند العرب.

وانتهى البحث إلى خاتمةٍ تضمَّنت أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة في فصولها ومباحثها، ذيّلت بمصادر البحث ومراجعه وهي مهمة وكثيرة نافت على مئتين وستين مرجعاً.

وقد كنت آملاً في أن كثرة ما كتب عن الأدب العربي ونقده في العصر الجاهلي سيذلل الصعوبات والعقبات أمام الباحث، غير أن هذه الكثرة كانت من المعوّقات التي اعترضت أو كادت تعترض سبيلي في استخلاص آراء جديدة وحرّة إزاء نقد النص الأدبي، فضلاً عن صعوبات أخرى عامة وخاصة واجهتني. ولا ريب في أن هذه المرحلة مهمة وخصبة في جانبيها الشعري والنقدي، فقد تعددت قضاياها وتشعبت مع علمنا أن كل قضية تحتاج إلى بحوث كثيرة في الموضوع النقدي نفسه، ولعل شمول موضوعنا لقضايا نقدية كثيرة في عصر ماقبل الإسلام أدّى إلى مواجهة معضلة كبيرة منها كثرة الإشارات إلى هذا الموضوع في كتب النقاد القدامى، فضلاً عن كثرة الدراسات الحديثة التي تناولت النقد – كما ذكرنا- فقد عرّجت على جزءٍ مما نحن بصددهِ في نقد تلك المدة، وفي محاولة التسويغ لكثير من أحكام النقاد ومقاييسهم خالجني الشك في البداية في القدرة على التخلص من هذه الدراسات وبعد التوكل على الله مؤيدي ومعيني. أعانني على الوصول إلى منافذ جديدة على مستوى المنهج وطريقة تناول الآراء وعرضها والإلمام بالموضوع وتوخي الإيجاز غير المخل، والوقوف على نصوص جديدة ومناقشة القضايا النقدية المثارة والمهمة في مرحلة البحث، مع الإفادة من الدراسات التي عضّدنا بها صفحات بحثنا. قادنا هذا كله إلى الوصول إلى نتائج معيّنة أسفرت عنها هذه الدراسة التي هيأت لنا أن نختط منهجاً جديداً في تتبع مراحل تطور نقد النص وقضاياه وتأصيله قي هذه المدة التي حددناها مساراً لهذا البحث.

وبعد فلا يسعني إلاّ أن أتضرع إلى الله سبحانه وتعالى آملاً أن يمكنني من رد الجميل والعرفان إلى كل من أعانني على هذا الجهد. وقدم لي نصيحة، وأعارني كتاباً، ووجهني بالتفاتةٍ علميةٍ، ويأتي في مقدمتهم الأستاذ الفاضل الدكتور علي كاظم أسد الذي كرمني بالإشراف على هذه الدراسة وأحاطني برعايته الكريمة وعنايته وثقته المعهودة. كما أتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان للأساتذة الأجلاء الدكتور ناظم رشيد شيخو رئيس لجنة المناقشة والأساتذة أعضاء لجنة المناقشة الدكتور فائز طه عمر والدكتور حاكم حبيب الكريطي والدكتور كامل عبدربه الجبوري والدكتور خليل الهلالي لما أنفقوا من وقت ثمين في قراءة هذا البحث ومناقشة الباحث مناقشة علمية دقيقة، وكفاء ماحبوني به من رعاية وتشجيع وأسبغوه على البحث من ثنايا وتقدير.

وأسجل شكري العميق للأستاذ الفاضل هلال ناجي شيخ المحققين العرب الذي فتح لنا قلبه وبيته، ولما أمدني به من خبرة وأعارني من مصادر نفيسة من مكتبته العامرة بإذن الله، وكرمنا بحضوره مناقشة أطروحة الدكتوراه، ولا يأتي حضوره تكريماً للباحث وكليته فحسب، وإنما تكريماً لليمن الكبرى التي أسماها في مطلع الستينيات في كتاباته التي نشرتها مجلة الآداب البيروتية، وما لبث أن نشر كتابه شعراء اليمن المعاصرون سنة 1965م، وكان سنداً داعماً لي ولجميع زملائي. ونأمل من الجامعات اليمنية أن ترد الجميل لهذا الأستاذ الكبير ـ الذي نافت مؤلفاته على المائة وخمسين كتاباً ـ وأن تكرِّمه تكريماً يليق بمقامه الكريم..ولا أنسى أن أتوجه بأسمى آيات الشكر والعرفان إلى الذين رفعوا أيديهم تضرعاً إلى الله سبحانه وتعالى وابتهالاً بالدعاء إليه بأن يوفق الباحث في جهده الذي شغله عنهم وأن يجني ثمرته، على الرغم من معاناتهم، فقد سهروا الليالي من أجل توفير أجواء ملائمة للباحث، وتحملوا مشاق البحث وعناء السفر، وغاب عنهم ما غاب من معاني الحب وابتسامة الحياة التي جمعتني وإياهم، فقد بخلت عليهم بوقتٍ ثمينٍ ما كان أحوجهم إليه، وقد كانت تأخذهم الشفقة بي وهم يرون انقطاعي إلى أوراقي وكتبي، وأخذتني الشفقة بهم وأنا أرى حرمانهم من كثير مما اعتادوه من حنانٍ ودفءٍ ومودة.

وأسجل شكري لرئاسة جامعة عدن على ابتعاثي للدراسة وتهيئة أسباب التفرغ العلمي لإنجاز هذه الدراسة في بلاد الرافدين (آملاً أن أفي أهلها مما هم أهل له من قدر ووفاء فقد حللت فيها أهلاً ،ونهلت من رافدها الثالث أعني شموخها العلمي والروحي)، والشكر موصول لزملائي أعضاء الهيئة التدريسية والمساعدة في جامعة عدن وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور محمد عبد الله حسين الذي تحمل العبء الأكبر في غياب الباحث طيلة مدة الدراسة بوفاء وإخلاص،وكان نعم الأخ ونعم الصديق. ولا يفوتني أن أشكر بفخر واعتزاز زملائي في العام التحضيري مهدي حارث الغانمي ومحمد ساري وحسن الكريطي ومحمد ناشر، وأسجل شكري لموظفي المكتبات في كل من العراق واليمن(1) ويتضاعف شكري واحترامي إلى كل من مدّ يد العون وأعارني كتاباً وأفادني مناقشةً وعزز بحثي بالتفاتةٍ علميّةٍ، وأسدى النصيحة وأسهم في تذليل الصعاب.

إلى هؤلاء كلهم أقول جزاهم الله عني وعن العلم خيراً وجعلني ممن يحسنون العرفان وممن يدومون على مودتهم وما جزاء الإحسان إلا الإحسان.

وأخيراً أرجو أن أكون قد وفقت في عملي هذا الذي بذلت فيه جهداً صادقاً، وكان الإخلاص رائدي، فإن كنت قد وفقت إلى ما قصدت فذلك حسبي وغايتي، وإن قصّرت أو أخطأت فهذا جهد باحث علم لا يدعي الكمال والتمام، والإنسان يخطئ ويصيب، وأسألُ الله تعالى ألا يحرمني أجر المجتهد وأن يجعل الثواب من عنده، وأن يجزي عليه بمقدار الإخلاص فيه لوجهه الكريم. وما أحسن ما قاله الإمام المزني صاحب الشافعي رحمهما الله تعالى: [لو عرض الكتابُ سبعين مرّة لوجد فيه خطأ أبى الله أن يكون كتاباً صحيحاً غير كتابه الكريم] فاسأل الله

---

(1) مكتبة السيد الحكيم ومكتبة الإمام علي (النجف الأشرف)، ومكتبة كلية الآداب- جامعة الكوفة،ومكتبة قسم اللغة العربية كلية التربية- جامعة الكوفة والمكتبة المركزية- جامعة بغداد، ومكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب- جامعة بغداد والمكتبة المركزية- جامعة المستنصرية والمكتبة المركزية- جامعة عدن، ومكتبة مركز البحوث والدراسات اليمنية جامعة عدن، ومكتبة كلية التربية زنجبار، ومكتبة كلية التربية عدن، والمكتبة الوطنية عدن، ومكتبة كلية الآداب جامعة صنعاء، ومكتبة اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين صنعاء، ومكتبة الهيئة العامة للكتاب، دار الكتب صنعاء، ومكتبات أخرى عامة وخاصة.

obeikandl.com

جلّ شأنه أن يكون هذا العمل في ميزان حسناتي يوم العرض على وجهه الكريم ﴿يوم لاينفع مالٌ ولابنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم﴾. سورة الشعراء 88- 89.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. فضل ناصر مكوع

أستاذ الأدب والنقد المساعد بقسم اللغة العربية

كلية التربية زنجبار ـ جامعة عدن

obeikandl.com

التمهيد

- مفهوم النقد.
- مفهوم النص.

obeikandl.com

مفهوم النقد

النقد لغة:

إن أول ما يطالعنا في لسان العرب أن مادة (ن، ق، د) حقيقتها نقض السيئة والحسنة، والنقد والتنقاد تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها، ثم تنهالُ في نطاق هذه المفردة[1] المعاني والدلالات الآتية:

1- التمييز وإخراج الزيف.

2- نقد الشيء قبضه وأعطاه لناقد أومميّز.

3- تعجيل الإعطاء للمال.

4- المناقشة، أي ناقدتُ فلان ناقشته في الأمر.

5- الاختيار: أي أن النقد يعني اختيار شيءٍ من هنا وشيء من هناك.

6- النقد المخالسة في النظر، ونقد إليه: اختلس النقد نحوه. ومازال ينقد بصره إلى الشيء: إذ لم يزل ينظر إليه، وينقد الشيء بعينه أي يخالس النظر إليه ليعرف حقيقته.

7- المؤاخذة: أي أن النقد معناه مؤاخذة الناس في بعض السلبيات أو ملاحقة السلوك بالتعليق أمراً أو نهياً أو أعابه أو اغتاب وفي ذلك قال أبو ذر الغفاري (رضي الله عنه): "فلما فرغوا جعل ينقد شيئاً من طعامهم، أي يأكل شيئاً يسيراً وهو من نقدت الشيء إصبعي"[2].

8- ويأتي معناه زوال القشرة والتقشّر.

9- ويأتي معناه من اللدغ أي لدغته الحية أي نقدته.

10- ومنها نقر الجوز بالإصبع لاختباره والتعرف على حاله، والمنقدة حريرة ينقد عليها الجوز.

وهذه المعاني اللغوية للكلمة في أصل وضعها واستعمالها تلتقي كلها عند معاني النظر والفحص والتمييز وما يمكن أن يتصل بها من العيب الذي هو نتيجة

---

(1) ينظر: لسان العرب، ابن منظور مادة نقد.

(2) ينظر: م.ن، مادة نقد.

obeikandl.com

النظر والتمييز ومن الانتقاء والاختيار والحكم وهي متصلة بعد ذلك بالاستعمال المجازي للنقد في الأمور المعنوية كالنقد الأدبي.ولا ريب في أن تكون لهذه المفردة ومعانيها علاقة بمعناها الاصطلاحي الذي يعد تطوراً لدلالاتها وإيحاءاتها.

النقد اصطلاحاً:

إن المصطلح النقدي: هو قراءة النص ثم تمييزه من النصوص الأخرى وتصنيفه بدراسة، إما دراسة وافية تتعلق ببناء النص كاملاً: (لغةً وتراكيبَ وصوراً وإيقاعاً وإبداعات أخرى) وإما انتقاء أبيات منه، وقد يصل الأمر إلى بيت أو مفردة من النص الأدبي وإصدار الأحكام. وقد تبدو الأحكام غير معللة، وهذا ما يبدو في ظاهر بعضها، غير أن الباطن يحتضن أحكاماً علينا أن نسعى إلى إظهارها ومعرفتها. وفي ضوء ما أوضحناه عن مفردة النقد في اللغة فلابد لنا من الأخذ بما يدور في نطاق هذه المفردة من دلالات لأننا ندرس مدة لم يترسَّخْ فيها معنى النقد اصطلاحاً، ومعنى ذلك نفي ما يدور في نطاق هذه المفردة من معانٍ والتركيز على نوعٍ واحدٍ فقط. لكننا لم نصل إلى هذه المرحلة النقدية المتطورة؛ لأن طبيعة البحث لا تدور حول هذا الزمن، وإنما الزمن الذي يدرسه البحث هو في حدود اتساع نشاط الدلالة العامة لمفردة النقد لذلك سنتكئ على عدد من الدلالات التي تشمل هذا الحيّز.

والحق أن معاني هذه المفردة قد تعددت إلاّ أن المعنى يكاد يكون واحداً، فالنقد يعني تمييز الجيد من الرديء وهو الأخذ والتناول والمناقشة والحوار واختلاس البصر، أي دقة النظر في النص والتأمل. فدلالة الألفاظ الوضعية لا تبعد عن دلالتها المعنوية والمجازية لذلك قال الزمخشري: "ومن المجاز هو من نقاد قومه من خيارهم، ونقد الكلام هو من نقدة الشعر، وانتقد الشعر على قائله، وهو ينقد عينه إلى الشيء، يديم النظر إليه باختلاس حتى لا يفطن له ومازال بصره ينقد إلى ذلك نقوداً، كأنما شبّه بنظر الناقد إلى المنقود" (1) وهكذا يدأب النقد الأدبي على تعمق النص الأدبي وإبراز محاسنه وعيوبه، وكثيراً مايعاني صاحب النص المنقود

(1) أساس البلاغة، جار الله الزمخشري 2/469-47.

من الآلام عندما يظهر الناقد مساوئه أشد مما يعانيه الملدوغ من الحية، وهذا الإيذاء يتناسب مع نقدته الحية أي لدغته. وكل هذا يظهر أن النقد في المفهوم الاصطلاحي يلتقي في كثير من خصائصه ومقوماته بالمعنى اللغوي وعلى وجه التحديد في النقاط التي ذكرناها، فالنقد هو تمييز جيد الكلام من رديئة وقد جاء في حديث أبي الدر داء "إن نقدت الناس نقدوك وإن تركتهم تركوك" [1].

وقد جاءت المفردة مأخوذة في الأصل من نقد أو انتقد الصيرفي الدينار وهو عملية تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها أي التمييز بين صحيحها وزائفها أو بين جيدها ورديئها ومنه قول الفرزدق:

تنفي يداها الحصى في كل هاجرةٍ نفي الدنانير تنقادُ الصياريفُ [2]

ومثله قول أبي يحيى بن علي المنجم في نقد الشعر و هو يتحدث عما يصنع بشعره وما ينهض به من نقده:

رب شعرٍ نقدته مثل ما ينقدُ رأس الصَّيَارف الدينارا
ثم أرسلته فكانت معانيه وألفاظه معاً إبكارا
لو أتاني لقاله الشعر ما أسقط حلواً به الأشعارا
إن خير الشعر ما يستعير النا سُ منهُ ولم يكن مستعارا [3].

وقد قيل للمفضل (168هـ): " لم لا تقول الشعر وأنت أعلم الناس به قال: علمي به هو الذي يمنعني من قوله :" [4].

وفي هذا القول تلميح إلى أن النقد علم قوانين الإبداع الفني وأصوله. وقد ذكر صاحب العمدة بعض من كان على دراية بالنقد ومعرفة به يتصدرهم عمر بن

---

(1) ينظر: لسان العرب، ابن منظور الأنصاري، مادة نقد.
(2) ديوان الفرزدق، شرح وضبط علي خريس،ص 334.
(3) العمدة،ابن رشيق القيرواني 105/1.
(4) العمدة،ابن رشيق القيرواني 117/1.

obeikandl.com

الخطاب ﷺ الذي " كان من أنقد أهل زمانه للشعر وأنفذهم فيه معرفة"(1) ومن ثم تبعه عدد من النقاد وساروا على نهجه كان أبرزهم أبا عمرو بن العلاء الذي قال: " تنقاد الشعر أشد من نظمه "(2).

وقد اشترك النقاد والبلاغيون القدامى في تأسيس مفهوم للنقد وهو تمييز الجيد من الرديء من الكلام وربطوا المفهوم الاصطلاحي بالمفهوم اللغوي الذي يعني تمييز الدراهم الزائف منها والأصيل(3) والكشف عن مواطن الحسن، ومواقع المؤاخذة والتقصير، وكان الحطيئة يذكر صعوبة المرتقى إلى جيد الشعر وحاجة الشاعر إزاءه إلى الدربة والملكة والخبرة. فيقول:

فالشعر صعبٌ وطويلٌ سُلّمهْ إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمهْ
زلّتْ به إلى الحضيض قَدَمُهْ يريد أن يعربه فيعجمهْ(4)

وهكذا كان دأب كثير من شعراء العرب الأقدمين ينظرون في شعرهم ويتناولونه بالتشذيب والتهذيب والتنقيح، وقد كان الحطيئة يقول :" خير الشعر الحوليُّ المنقَّحُ المحكَّكُ "(5) وظهرت في العصر الجاهلي مدرسة الصنعة الفنية وهي التي يسميها بعض النقاد بمدرسة زهير. وقد وصفهم الأصمعي بـ (عبيد الشعر) في قوله: " زهير والحطيئة وأشباههما من الشعراء عبيد الشعر، لأنهم نقحوه ولم يذهبوا مذهب المطبوعين، وكان الحطيئة يقول: "نقَّحوا القوافي فإنها حوافر الشعر "(6).

وفي ذلك يقول ابن سلام: "وللشعر صناعةٌ وثقافةٌ يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم. والصناعات منها ما تثقفه العين ومنها ما تثقفه الأذن ومنها ما تثقفه

---

(1) م.ن 33/1.
(2) م.ن 117/1.
(3) طبقات فحول الشعراء، ابن سلاَّم الجمحي5/1 والعمدة 18/1.
(4) ديوان الحطيئة، 136.
(5) الشعر والشعراء، ابن قتيبة 1/ 78.
(6) الرسالة الموضحة، ص 42.

obeikandi.com

اليد ، ومنها ما يثقفه اللسان، ومن ذلك اللؤلؤ والياقوت، لا يعرف بصفة ولا وزن دون المعاينة ممن يبصره، ومن ذلك الجهبذة بالدينار والدرهم، لا تعرف جودتها بلون، ولامس و لا طراز، ولا صفة، ويعرفه الناقد عند المعاينة"[1].

فكلمة "صناعة" هنا ترجمة لكلمة"الفن" للتمييز بينها وبين العلم،وهو المهارة،أو هو المعرفة،بلغت بها المهارة حد الكمال، وسميَّ الأدب صناعة لما فيه من المهارة في إصابة المعنى أو ابتكار الخيال أو جمال الفكرة، وحسن الصياغة والتأنق في الأسلوب.في حين يريد ب(أهل العلم) نقاد الشعر الذين يميزون جيده من رديئه بدليل أنه عقد مقابلة في النص نفسه بين أهل العلم بالشعر ونقاد الدراهم الذين يميزون الصحيح من الزائف.

ومما جاء في دلائل الإعجاز " قال بعضهم: رآني البحتري ومعي دفتر شعر، فقال: ما هذا ؟ قلتُ: شعر الشنفرى قال: وإلى أين تمضي ؟ قلت: إلى أبي العباس أقرؤه عليه فقال: قد رأيت أبا عباسكم هذا منذ أيام عند ابن ثوابة، فما رأيته ناقداً للشعر ولا مميزاً للألفاظ، ورأيته يستجيد سيئاً وينشده، وما هو بأفضل الشعر فقلت له: أما نقده وتمييزه فهذه صناعة أخرى، ولكنه أعرف الناس بإعرابه وغريبه "[2].

أما الجاحظ فقد استعملها بمدلولها الاصطلاحي " قال بعض جهابذة الألفاظ ونقاد المعاني "[3].

ولعل قدامة بن جعفر أول من استعمل لفظة نقد بمعناها الفني المقترن بنقد وذلك بقوله: " لم أجد أحداً وضع في نقد الشعر وتخليص جيده من رديئه كتاباً "[4]. فيما رأى الآمدي أن تحديد معنى النقد أمرٌ صعبٌ، ورد على من سأله في ذلك النقاش الطريف بأن ساق له نماذج، ثم ذكر أنه " يبقى بعد ذلك ما لا يمكن

---

(1) م. ن 4/1.

(2) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص 195.

(3) البيان والتبيين، الجاحظ 1 / 54.

(4) نقد الشعر، قدامة بن جعفر، ص 2.

obeikandi.com

إخراجه إلى البيان" [1] غير أنه من النقاد الذين جعلوا المفهوم اللغوي والمفهوم الاصطلاحي سبيلاً يعتمد على التمييز الذي ذهب إليه عدد كبير من النقاد[2].

ويبدو أن ابن سلام قد أشار إلى هذا المفهوم من خلال ما نقله من " أن رجُلاً قال لخلف الأحمر: ما أبالي إذا سمعت شعراً أستحسنه، ما قلت أنت وأصحابك فيه! فقال له: إذا أخذت درهما تستحسنه وقال: لك الصيرفي إنه رديء هل ينفعك استحسانك إياه؟" [3] ومع هذا يبدو أن المفهوم اللغوي ما يزال مسيطراً على هذا النص وهو أن النقد هو (التميز) أكثر من مفهوم (الصناعة) التي ذكرها ابن سلام، وإذا كان ابن سلام قد قصد بمصطلح الصناعة صناعة الشعر وصياغته، فإن ابن رشيق قد استعملها بمعنى صناعة النقد وذلك واضح في قوله: " وقد كان أبو عمرو بن العلاء وأصحابه لا يجرون مع خلف الأحمر في حلبة هذه الصناعة، ولا يشقون له غباراً لتضاده فيها، وحذقه بها وأجادته لها، وقد يميّز الشعر من لا يقوله :" [4] ومن لا يقوله هذه تجعلنا نضع اليد على التميّز بين الشاعر والمتذوق وأن بمقدور غير الشاعر أن يكون له موقف من الشعر، فالنقد كما نرى، ميّز الشعر ويبدو أن القاضي الجرجاني قد قرر أنه (الميز) بين أصناف الشعر[5] ويبدو أن السكاكي وهو الدارس اللغوي والنحوي والبلاغي لم يحاول أن يعرف النقد أو يضع مفهوماً لمصطلح النقد وإنما تبقى الأمور على ما هي عليه من مفهوم النقد اللغوي على الرغم من أنه متأخر جداً، في حين أن الدرس النقدي قد قطع قبله بقرونٍ مساحة طويلة جداً من الاستقرار، لأنه يحدد مهمةً لـ(ناقد الكلام) وليس (الناقد) من أنها التميّز بين الخطأ والصواب وغيرها، إذ قال: " أبعد شيء عن نقد

---

(1) الموازنة بين الطائيين، الآمدي، ص 177.

(2) ينظر: البيان والتبيين 75/1، والبديع في نقد الشعر أسامة بن منقذ، 58، وعيار الشعر، ابن طباطبا العلوي، ص 43، وأخبار أبي تمام،أبوبكر الصولي 100/ 175، ونقد الشعر 15 والموازنة 291/1 والموشح 83، وحلية المحاضرة في صناعة الشعر،الحاتمي 3.1/1 والعمدة 117/1.

(3) العمدة 117/1.للاستزادة ينظر طبقات فحول الشعراء 7/1.

(4) العمدة 97/2 للاستزادة ينظر: م.ن 117/1، 33/1.

(5) ينظر :م. ن 2/ 97.

obeikandi.com

الكلام جماعتهم، لا يدرون ما خطأ الكلام وما صوابه، وما فصيحهُ وما أفصحه، وما بليغهُ وما أبلغه، وما مقبوله وما مردوده" (1).

ويعرف النقد في العصر الحديث بأنه " تلك الشعبة من الفكر التي تحاول أن تتصرف على ماهية الشعر ووظيفته والرغبات التي يحثها ولماذا يكتب" (2).

ويرى الدكتور محمد مندور: "أن النقد في أحد معانيه: هو فن دراسة الأساليب وتمييزها وذلك إذا تفهمنا لفظة الأسلوب بمعناها الواسع، أي علينا أن نتفهم أن المقصود من ذلك ليست طرائق الأداء اللغوية فحسب، بل المقصود منحى الكاتب العام وطريقته في التأليف والتعبير والتفكير والإحساس على السواء" (3) وإن كان هذا التعريف جامعاً لكثير من التعريفات النقدية، فإنه يقودنا إلى معرفة النقد الذي يعد فنّاً من فنون الأدب يتناول بقراءات متعددة الآثار الأدبية، ويحللها ثم يقومها ويحكم لها بالجودة، أو عليها بالرداءة والنقد بمعناه العام هو ما كتب عن الأدب كله سواء أكان تحليلاً أم تفسيراً أم تقويماً، أو هو هذه الأشياء كلها مجتمعة. وربما يدخل هذا في مهمة النقد التي تفسّر " العمل الأدبي للقارئ والمساعدة على فهمه وتذوقه وذلك عن طريق فحص طبيعته وعرض ما فيه من قيم" (4). تسهم في التحليل والتفسير والإيضاح. والنقد أولاً عملية تحليل يكشف فيها الناقد عن عناصر الإبداع في العمل الأدبي وعن العوامل المؤثرة في النص، فضلاً عن " جوانب النضج الفني في النتاج الأدبي وتمييزها عما سواها عن طريق الشرح والتعليل، ثم يأتي بعد ذلك الحكم العام عليها" (5).

وقد يتمثل الناقد في نفسه العمل الأدبي، ويربط ما بينه وبين الحياة في مجموعها، ويبيّن للقارئ تلك العلاقة ويخلق بينه وبين ذلك العمل صلة قوية.

---

(1) مفتاح العلوم، السكاكي، ص 37.

(2) فائدة الشعر وفائدة النقد، ت. س. أليوت، ص 26.

(3) في الأدب والنقد، الدكتور محمد مندور، ص 6.

(4) ينظر: الأدب وفنونه، الدكتور محمد مندور، ص 57.

(5) النقد الأدبي الحديث الدكتور محمد غنيمي هلال، ص 1.

openkan.com

والنقد ثانياً عملية تقويم ويكون التقويم على أساس إسهام العمل الأدبي في الحياة، إذ تعتمد طبيعة العملية الأدبية على طبيعة العلاقة بين الأدب والحياة، ومحاولة الناقد إصدار الحكم على الأدب بقدر إسهامه في صنع الخيال تؤهله بذلك خبرته للكشف عن مزايا أي عمل أدبي وعيوبه.

ولّما كانت مهمة النقد ذات شطرين: شطر تفسيري علمي وشطر تقويمي حكمي، فقد انقسم النقاد إلى قسمين، قسم غلب عليه النقد الحكمي فحكم على ما يقرأ بالجودة والرداءة، أو بإصدار أحكامٍ ذوقيّة تأثرية في بداية الأمر ثم تسيرُ " في خطواتٍ محدودة لكنها بالقياس إلى أوليات الأدب والنقد كانت خطوات لها شأنها وقيمتها" (1) من الناحية التاريخية والفنية. وقد شاع ذلك عند العرب في عصورهم الأولى – التي يتتبعها بحثنا هذا- إذ بدأ النقد عندهم "تأثريّاً يقف عند حد التذوق الفطري ولا يتجاوزه إلى التحليل، كان الواحد منهم، إذا ماستساغ بذوقه الفطري قصيدةً أو جزءاً من قصيدة أو بيتاً، أو حتى نصف بيت منها ينفعل تلقائيا ويندفع إلى التعميم في الحكم فيجعل من الشاعر (أشعر العرب) أو (أشعر الناس) وقد كثر هذا الاتجاه في المراحل الأولى للنقد العربي" (2) وقد تتعدد الأحكام وتتباين النظرات، وذلك لأن الناقد يصدر حكمه تبعا لميوله وإحساسه وانفعالاته. ولكن ذلك لا يعني أن تلك الأحكام عامة، إذ إن في باطنها أحكاماً معللة يجب الغوص في أغوارها وإخراجها ودليلنا على ذلك أن الناقد أول ما يبدأه بعد سماعه القصيدة هو أن ينطق حكماً عاماً ولكنه عندما يجابه بالرفض أو بالاستفسار فإنه يعلل ذلك الحكم في نقطة أو في عدد من النقاط نحو (حكم أم جندب) (3) و(نقد النابغة لحسّان في سوق عكاظ) (4).

(1) في النقد الأدبي، الدكتور عبد العزيز عتيق، ص 279.

(2) م. ن، ص 279-28.

(3) ينظر: الشعر والشعراء 218/1-219 والموشح، ص 28، 29.

(4) ينظر: الأغاني،أبو الفرج الأصفهاني 6/11، والموشح، المرزباني، ص 82-84.

obeikandi.com

والنوع الآخر من النقد هو الذي يرتبط بالتحليل. ومما يجب أن نذكره أن النقد قد تأثر بمختلف العلوم ولاسيما الدراسات النفسية لأنها تشرح طبيعة الخيال والتعبير وعملية الإبداع، والشعور والتفكير، وما إلى ذلك ويحلل النص الأدبي في ضوء الدراسات الحديثة.

ولا ريب في أن يذهب العلماء في ذلك مذاهب متباينة في أصول النقد ومناهجه على أنهم اتفقوا جميعاً على أنهُ ليس هناك قواعد يستطيع الناقد أن يقيس بها نقده على أنه إلى جانب القواعد المقدرة، لابد من التجربة الذاتية والالتفافات العلمية لدى الناقد كما تقترحه الدكتورة هند حسين طه هو " تقدير النص الأدبي تقديراً صحيحاً، وبيان قيمته في ذاته ودرجته الأدبية بالنسبة إلى غيره من النصوص على أن يكون ذلك مستنداً إلى الفحص الدقيق والموازنة العادلة والتمييز المؤتمن على المعرفة الصادقة ليكون الحكم آنذاك قريباً إلى الصحة إلى حدٍّ ما" (1). لأن الأدب في نظر أحد النقاد هو ضمير الإنسانية والنقد هو ضمير الأدب وأي شيء يسمو عليه؟ (2).

والنقد بهذا التعريف هو الحديث الذي يدور حول الأدب لهذا فإن الأدب خير من يعبّر عن تجربة شعورية في صورة موحية وصادقة.

ومما لاشك فيه أن العمل الأدبي عمل معقد لأنه يحمل من القيم الجمالية والفكرية والنفسية ما يعز على المتلقي الذي لم يتردد من تقويمه والكشف عن عوالمه إلا أن هذا لا يعني أن نقدنا العربي تعوزه المنهجيّة بل إنه يعتمد "أصولاً معينة في فهم الأدب وفي اكتشاف القيمة الجمالية والنفسية والفكرية والاجتماعية في العمل الأدبي " (3). ويترتب على ذلك أن النقد لا ينفصل عن الإبداع إن لم يكن فنّاً إبداعيا – وقد أشرنا إلى ذلك- مع علمنا ويرى الدكتور عناد غزوان "أن التحليل النقدي والجمالي له مظهران إيجابيان من مظاهر بناء الحكم النقدي بوصفه أدباً أو تجربة أدبية لا تختلف في لغتها وإحساسها وفكرها وأسلوبها عن أي تجربة أدبية

(1) النظرية النقدية عند العرب، الدكتورة هند حسين طه،ص21.

(2) النقد الأدبي كارلوني وفيللو، ص 77.

(3) دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي،حسين مروة، ص 5.

أخرى"[1]، لأنه لا يختلف عن بقية الأجناس الأدبية إلاّ في الشكل والمصطلح والموقف والوعي فالنقد وإن كان امتدادا طبيعياً للقراءة فإنه خلق فني لا يخلو من منهجيّة[2].

وإذا كان الهدف من النقد تقريب الأثر الأدبي إلى المتلقي بالكشف عن أسراره الخفيّة فإن المنهج المبني على رؤية أو موقف محدد من الأدب سيسهل هذه المهمّة بالوسائل والتقنيات التي يستخدمها، وبالمفاتيح التي يلج بها الناقد عالم النص، وهذا هو الذي نسعى إليه؛ لأن نقد النص الأدبي يتمثل في عرض آراء المتلقي في الأدب العربي القديم ومناقشتها، بعدّها جزءاً حيّاً من تاريخ النقد الأدبي عند العرب، اتخذ من الشعر العربي مجالاً لدراسات واسعة.

ويرى الدكتور محمد مندور أن: "النقد الأدبي عند العرب قد ابتدأ بنقد الشعر عندما كانت القبّة الحمراء تضرب للنابغة الذبياني في سوق عكاظ ليحكم فيها بين الشعراء، وكان الشعر عندئذ هو الصورة الوحيدة للأدب تقريباً، بل وكان شعراً من نوع واحد هو الذي يسميه الغربيون الآن بالشعر الغنائي، أي شعر القصائد والمقطوعات"[3].

ويرى أن النثر لم يظهر الاهتمام بنقده إلا بعد نزول القرآن الكريم[4] ولا ريب في أن هذا النقد قد ركز بدرجة رئيسة في علوم الإعجاز القرآني.

ومما يؤسفنا حقاً أن بعض النقاد العرب شغوف بالإساءة إلى الأدب العربي، ومنهم من يرى أن الأدب العربي ضعيف الخيال ويخلو من الرمز وأنه شعر سطحي لايعرف إلاّ الماديّات، وقد وصل الأمر ببعضهم إلى التشكيك في شعر عصر ماقبل الإسلام برمته، ولكن هذه القضايا وجدت من يتصدى لها من النقاد الذين قرأوا شعرنا القديم قراءات نقدية متأنية فندوا من خلالها تلك الحجج واثبتوا قوة الخيال

---

(1) التحليل النقدي والجمالي للأدب،الدكتور عناد غزوان، ص 7.

(2) ينظر :إشكالية المنهج في نقد الشعر الحديث (مقال) د.عناد غزوان مجلة الأقلام العدد (3) 1986م، ص 16.

(3) قضايا جديدة في الأدب والنقد، ص 22.

(4) ينظر: م.ن، ص 22.

obeikandl.com

كما نظروا بعمق إلى رمزية موضوعات قصيدة ماقبل الإسلام ونعني بالرمزية تلك (التي نلمحها في الشعر عامة وفي الشعر الجاهلي خاصة تلك القدرة التي تمتلكها القصيدة على إثارة تصوّرات ذهنية دلالية، فضلاً عن قابليتها على إثارة المعاني المتعددة في نفس المتلقي)[1] آخذين بالحسبان تطور الثقافة العربية من عصر إلى عصر وما يحدثه ذلك في نفس الناقد. فكلما كان الشاعر يدرك مدى القيمة الفنية لهذا التوظيف، كان المتلقي قادراً على توجيه الشعر على وفق آفاق أعمق وأشمل.

وإن كان هذا الموضوع شائقاً وطويلاً فانه يسلط الضوء على طبيعة النقد "العربي القديم عبر نظرة انتقائية تفحص خصائص أو طبيعة التلقي المرتبطة بالطابع الشفاهي للشعر وما يتصل به من مقام سماعي يتلقى منه ويفضي إليه" [2] ولابد من علاقة حميمة تجمع بين الشاعر والناقد والمتلقي منه على وجه الخصوص وينبغي للناقد " أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقةٍ من ذلك كلاماً ولكل حالةٍ من ذلك مقاماً حتى يقسِّم أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات" [3] ولهذا يقال:" لا يضبط الشعر إلاَّ أهله" [4] وعلى ذلك رأى ابن طباطبا العلوي أن " النفس تسكن إلى كل ما وافق هواها، وتقلق مما يُخالفه، ولها أحوالُ تتصرف بها، فإذا ورد عليها في حالة من حالاتها ما يوافقها اهتزت له، وحدثتْ لها أريحيّةٌ وطرب، فإذا ورد عليها ما يخالفها قَلِقتْ واستوحشت" [5] وعلى ذلك جاءت مقولة (مقتضى الحال) ولكل مقام مقال :[6].

وتأسيساً على هذا فإن المعاني التي تثيرها القصيدة في نفس الناقد قد تختلف من عصرٍ لآخر تبعاً لتطور الثقافة واختلافها، إلاّ أن هذا لا يعني أن النص الجاهلي

---

(1) دراسات نقدية في الشعر العربي، الدكتور بهجة الحديثي، ص 35.

(2) المتاهات، الدكتور جلال الخياط، ص 125.

(3) نقد الشعر، ص 42.

(4) طبقات فحول الشعراء 60/1.

(5) عيار الشعر، ص53.

(6) ينظر: البيان والتبيين 17/1.

openkanal.com

يخلو من التصوير والتعبير الرمزي، بل ربما قد يكون لذلك أثرٌ أكبر من نصٍّ لعصرٍ متأخر، ولذا فإن بالآراء والأحكام النقدية التي وصلت إلينا حاجة إلى قراءة ثانية وثالثة ومرّات لكي تثبت مدى قدرة الناقد القديم على نقده التعليلي للنصوص مع علمنا أن ثقافة الناقد القديم قد تقترب من ثقافة الناقد الحديث.

فإذا أنعمنا النظر في الشعر الجاهلي رأينا أن القصيدة العربية القديمة كتبت للإنشاد والمديح في الأغلب الأعم، والناقد لا يقبل إلاّ ذلك الشعرالمرتجل والشفاهي، وفي أثره يصدر حكمهُ المباشر، مع إدراكنا أن الشاعر نفسه كان يحسِّب لمثل هذه المواقف، وهذا هو الذي قاد بعض الشعراء إلى تنقيح شعرهم مدة طويلة. ولا يعني أن الناقد يصدر أحكاماً مجانيّة، فهو يستمع جيداً إلى الشاعر ويدرك مواطن الجودة والرداءة لذلك يأتي حكمه بألفاظ موجزة تعلل ما وقع فيه الشاعر من هفوات، وإذا كان الجمهور يملُّ الاستماع إلى القصيدة الطويلة فكيف يتعامل وهو يستمع إلى تحليل نقدي مطوّل، فضلاً عن الرضا والاستحسان والاستهجان والقبول والرفض لدى المتلقي وذوقه والناقد " ليس شخصاً واحداً وإنما هو الحياة الأدبية الواسعة للمجتمع، التي تمثلها مجاميع كبيرة من الأدباء والعلماء على اختلافهم وتباينهم في الذوق الفنّي والثقافة، ونوع التخصص العلمي، وكل مجموعة من هؤلاء ينتخبون من الشعر ما يجدون فيه ضوالهم ويفضلونه على غيره من سائر الشعراء" (1).

"وتأسيساً على ما تقدم، نخلص إلى القول إن (النقد الأدبي) هو تمييز جيد القطعة الأدبية من رديئها، وفصل محاسنها من عيوبها سواء أكانت نثراً أم شعراً ثم تقديرها حق قدرها ومعرفة قيمتها وإنزالها منزلتها ودرجتها في الأدب "(2).

غير أن موضوع الدراسة هو نقد النقد وهو الذي يعتمد التنظير والنقد، وفي الوقت نفسه فإنه –أي نقد النقد- مطلب ضروريٌّ يصحح نفسه ويقوي مكانته ويقوم بدوره.

(1) بين الشاعر والمتلقي في التراث العربي (مقال) ثائر حسن جاسم، مجلة آفاق، العدد (3) سنة 12، 1987.
(2) في النقد الأدبي وتاريخه عند العرب، الدكتور خالد يوسف، ص 15.

obeikandi.com

مفهوم النص الأدبي

ترد كلمة نص في المعاجم العربية في دلالات متعددة في مادة (نصَّ) و(نصص)، ولا ريب في أن تتنوع الدلالة المعجمية للفعل (نَصَّ) تبعاً للتطور الذي يولّد دلالات جديدة للملفوظ الواحد، ويبدو أن (الرفع لأجل الإظهار) هي أولى الدلالات اللغوية للنص " فنص الشيء رفعه ومنه منصة العروس أقعدها على المنصّة. ونص الحديث إلى فلان رفعه إليه ونص كل شيء منتهاه وفي حديث علي عليه السلام :إذا بلغ النساء نص الحقاق" [1] و (نصّ المتاع): وإذا جعل بعضه فوق بعض، ومثله نصصت المتاع، ومنه نصّ الرجل أنفه فهو نصاص أي رفع أنفه [2] وتتجاوز هذه الدلالة المجال الحسي إلى ما يقترب من دلالة الرفع مثل الإظهار والإسناد والتحديد كما جاء في لسان العرب: نص الحديث ينصه نصّاً: رفعه وكل ما أظهر فهو نص، نصَّ الحديث إلى فلان رفعه، وكذلك نصصته إليه، وينصهم يستخرج رأيهم ويظهره [3]. فالنص في الأصل اللغوي يعني النسيج ويعني كذلك التوثيق وإسناد الحديث إلى صاحبه.

وتأسيساً على هذا فان كلمة (نصّ) قد وردت في شعرنا العربي القديم ولاسيما شعر امرئ القيس، إذ قال:

وجيّدٍ كجيد الرئم ليس بفاحش إذا هي نصّته ولا بمعطلِ [4]

وقد زودتنا العلوم الدينية بمصطلح (نص القرآن) و (نص الحديث) التي تعني " صيغة الكلام الأصلية كما وردت من مؤلفها ومنشئها" مع إدراكنا أن النص القرآني إعجاز منزّه ومنزّل أظهر تفوقه الفني على النصوص كافة فقد تحدّى هذا النص مقدرة المبدعين قاطبة على الإتيان بسورة من مثله تأكيداً لكماله.

---

(1) مختار الصحاح، الجواهري مادة نص، ص 662.

(2) الصحاح، نصّ.

(3) لسان العرب، مادة نصّ.

(4) ديوان امرئ القيس، ص 11.

openkandil.com

ومما يجب أن ننوه به أن بعض الدارسين استنكر محاولة إطلاق النص على القرآن الكريم، إذ " لم نعرف أنّ أحدا من العلماء تناول القرآن من حيث هو نص، لأن هذا مما يستعاذ بالله منه، وإنما تناولوه في كل حال من حيث هو تنزيل من الله العزيز العظيم" [1] وقد رجح بعض الدارسين أن نقل الدال (نص) من المعنى القديم إلى المعنى الحديث كان في زمن الفلاسفة المسلمين[2] اعتماداً على ما نقله ابن خلدون في تسمية منطق أرسطو في قوله :" وكتابه المخصوص بالمنطق يسمى نص" [3].

ومهما تكن دلالة (النص) هنا فإنها لا تمثل المدلول الحديث الذي جاء من أثر الثقافة الغربية، ولا يمنع هذا التصور وجود المناسبة بين الاستعمال القديم والاستعمال الحديث، ويبدو أن تحديد مفهوم كلمة النص الحديثة جاءت بما يتلاءم ونظرة هذه الدراسة للمصطلح ولكن في إطار تشذيبه وتهذيبه ولتأسيس بعد آخر في مجال النقد الفكري للأدب.

وقد أولى المحدثون كلمة النص عناية خاصة لما فيها من دلالة رفع الحديث إلى قائله مما أعطى للكلمة بعداً دينيّاً أتاح لها أن تصبح مصطلحاً فقهيّاً وأصولياً للدلالة على الكلام الذي لا يقبل التأويل، وبقيت هذه الدلالة حاضرة في كتب التراث الإسلامي بما في ذلك كتب التفسير والكلام والتصوف ويورد السيد الشريف الجرجاني ما يؤيد شيوع هذا المفهوم للكلمة في التراث العربي الإسلامي من (النص) ما " لا يحتمل إلاّ معنى واحداً وقيل مالا يحتمل التأويل"[4]، وما يزال هذا المفهوم حاضراً في الدراسات الفقهية والأصولية المعاصرة ومما لاريب فيه أن

(1) التصوير البياني، محمد أحمد أبو موسى، ص 19.

(2) النص السلطة الحقيقة، الدكتور نصر حامد، ص 159.

(3) مقدمة ابن خلدون، ص 417.

(4) التعريفات، أبو الحسن السيد الجرجاني، ص 132.

obeikandl.com

كلمة (نص) حملت رؤى دلالية واسعة ومتباينة[1]، في الإعجاز والانقطاع، بيد أن الدلالة المركزية الكاملة التي تعني الظهور والانكشاف أخذت كلمة (منصّة) التي تعني المكان المرتفع البارز، ويأتي مفهوم النص الأدبي منطلقاً من هذه الدلالات اللغوية مجتمعة. " فالنص الأدبي نسيج من العلاقات اللغوية المركبة التي تتجاوز حدود الجملة بالمعنى النحوي. كما أنّهُ وليد عوامل ومؤثرات مختلفة لغوية ونفسية واجتماعية ووليد تجربة ذاتية للمبدع في لحظة الإبداع وعلى ارتباط وثيق بالمتلقي في حالة التلقي..على أن صلة الرحم بين النص وكل من المبدع والمتلقي صلة حضورية في حالتي الإبداع والإمتاع" [2].

والنص الأدبي من هذه الزاوية يغاير الخطاب النفعي ويتميز منه بطاقته الدلالية، فدلالة النص أو الخطاب النفعي دلالة حرفية خطابية أما الطاقة الدلالية للنص الأدبي فإيحائية إيمائية إشارية تتجلى خارج الصورة الحرفية للنص، ومظاهر هذا التجّلي عند النقاد الأقدمين الخيال والتشبيه والاستعارة والمجاز المرسل والكناية ونحوها.

أمّا مظاهره عند المحدثين فالرمز والإيحاء وتراسل الحواس ومزج المتناقضات والغموض وغيرها[3].

وتأسيساً على هذا فإن أدبية النص هي وليدة تركيبته اللغوية بمعنى أن مكوّنات النص الأدبي هي العلاقات التركيبية بين المفردات والجمل والفقرات.

ولا ريب في أن نصل بعد هذه الإيضاحات إلى تعريفٍ جامعٍ للنص وهو أنه"مدوّنة حدث كلامي ذي وظائف متعددة" [4] ولكن لا يعني هذا أن النص لا يشمل الكلام الشفاهي لذلك ينطلق من هذا النقد التطبيقي الذي" هو في الحقيقة قراءة

---

(1) من أهم الدراسات التي تناولت ذلك. علم النص جوليا كرستيفا، ولذة النص، رولان بارت، والسيمياء والتأويل روبرت سولز وديناميةالنص د. محمد مفتاح، وشرح النص، د. عبد الله الغذامي وأقنعة النص د. سعيد الغانمي، وترويض النص يحيى الغابري وفي الميتا لغوي والنص والقراءة مصطفى الكيلاني، وفي قراءة النص قاسم المؤمني وغيرها كثير.

(2) قراءة النص الأدبي وتذوقه (مقال :) دكتور احمد قاسم الزمر، مجلة الحكمة، ص 57.

(3) ينظر: قراءة النص الأدبي وتذوقه (مقال)، ص 59.

(4) تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص): 12.

obeikandi.com

النص الأدبي أي أن القراءة تبدو هنا رديفاً للمنهج"[□] وهذه القراءة لا تقف عند مستوى الحروف والكلمات والتراكيب النحوية بل تتجاوز ذلك إلى المشاعر والأحاسيس وأجراس الكلمات ونغماتها الإيقاعية. وقراءة النص تتطلب جهداً كبيراً من الناقد بحيث لا تكون قراءته إسقاطيه [بر] لا قراءة شرح وتفسير وتقويم على ظاهر النص وإنما يجب أن تكون القراءة الشعرية التذوقية للنص الأدبي من خلال عباراته اللافتة وألفاظه المنتقاة[تر]، وذلك للبحث عن النسق الفكري للنص وعلاقات الجمل والألفاظ وكيفيّة ترتيبها وهذا النوع لا يعتمد على الذوق فحسب، بل يعتمد قبل ذلك على النضج المعرفي بقواعد اللغة ونحوها وصرفها وأصواتها ومعاجمها وأجراس كلماتها وتراكيب جملها[ير].

لذلك فإن النص الأدبي يجب أن يستأثر بكل انتباه الناقد ودراساته، كما يجب أن يكون كل شيء لدى الناقد وقرائه على السواء [سم].

وتأسيساً على هذا فإن النص الجيد يفرض نفسه ويصبح " هاجساً يطارد الناقد ويقلقه ويحفزه على أن يعيد معه حساباته ويشكك في مقدرته النقدية حتى يمكن القول إنه في كل مرة تعاد قراءته تزداد سلطته على حساب سلطة الناقد "[شم] وينبغي أن تتوافر في النص الأدبي مجموعة من المنطلقات منها:

---

(1) من صور النقد التطبيقي وترويض النص وسلطة اللغة (مقال :)، الدكتور عناد غزوان، ص 1.

(2) وهي القراءة التي تتجه نحو المؤلف والمجتمع أو أي موضوع يهتم به النقد وهذا هو النقد النفسي والاجتماعي للأدب.

(3) وهي القراءة التي لا تتجاوز عادة كتابة النص بكلمات مماثلة في معناها لما ورد في الأصل، وهذا سلوك كثير من شروح الدواوين الشعرية وكلا القراءتين لا صلة لهما بالنص الأدبي.

(4) ينظر: قراءة النص الأدبي وتذوقه (مقال :) 59 وفيه أن هذه القراءة تعتمد على أسس ثلاثة:

فطنة القارئ وقدرته على تحديد السمات اللغوية المهيمنة في بنية النص.

أن يكون مسلحاً بسلاح اللغة وأهم فروعها النحو.

أن يكون مسلحاً بسلاح التذوق والحسّ النقدي البصير.

(5) النقد الأدبي د.سهير القلماوي، ص 65.

(6) سلطة النص في المنظور الأدبي والنقدي (رسالة دكتوراه) أنعام فائق محيي، ص 106.

obeikandl.com

1- أن يصدر عن ملكة لغوية وخبرة فنية وقراءة فاحصة وعميقة للنصوص الأدبية التي سبقت عصر المبدع.

2- أن يخاطب وجدان المتلقي ويمس مشاعره ويداعب أحاسيسه سواء أكان سامعاً أم قارئاً.

3- أن تكون ألفاظه مختارة، ومفرداته منتقاة ومعانيه مبتكرة وجمله منتظمة في سياق واحد.

4- أن يعتمد الإشارة والإيحاء والكناية والرمز والاستعارات والعبارات اللافتة إلى غير ذلك من السمات المبيّنة في مظانها من كتب البلاغة والنقد والدراسات اللغوية المعاصرة ولاشك في أن هذه السمات هي سر جمال التعبير ومصدر الإمتاع والتأثير.

ومما لاريب فيه أن لكل نص أدبي سلطته التي تحدد للناقد طريقه وتصحح خطاه، لأنها تضطر إلى التحرك ضمن الحدود التي تسمح بها لغة النص.

وإذا كان النص مصدر القراءات، فإن التفاوت في مستوياتها مصدره النقد والناقد القدير يتلقى النص ويتوغل في أبعاده، فالنص وإن كان المتحكم في القراءة النقدية لكن يبقى الناقد ذا فاعلية في استنطاقه وفي رصد الجديد أو الإبداع، وفي تثبيت جدته عن طريق ثقافته النقدية.فهو عنصر حيوي مهم في وفائه للنص(1).

ومما لا ريب فيه أن النص الأدبي هو نتاج مبدعه وعرضة لنقد متلقيه الذي يتفاعل معه بقراءات متعددة وعميقة، لأن النص مهما يكن الاختلاف في قراءاته يظل مادة لغوية وهو في أسلوبه انحرافات اللسان وجماليته مرهونة بهذا الأسلوب ولكنه في الوقت نفسه نص مفتوح يتابع حياته في نفس المتلقي فهو لا ينتهي بانتهاء آخر كلمة فيه.

وتأسيساً على هذا فإنه لا يستطيع منهج واحد أن يلم بقراءة النص، لأن النص يقبل أن يقيد في علم اللغة لأنه خلق في اللغة ومعالجته تقوم على التحليل النفسي،

(1) ينظر: م. ن، ص 142.

operkanal.com

لأنه معاناة حياة ومعالجة تقوم على علم الاجتماع لأنه علاقة تقوم بين الناس والعالم ولكن لا يعني أن النصوص جميعها تقبل هذه المعالجة.

وكل ذلك يتوقف على غنى النص نفسه ومدى تجذّر تجربة مبدعه في ذاته أو في المحيط الذي ينتمي إليه.

obeikandl.com